مع الاعتراف بالجميل يأتي الأمل

جلوبال أفريكا
يرأس هيئة التحرير مام بيندا با
LASPAD أستاذة العلوم السياسية في جامعة جاستون بيرجر ومديرة
redaction@globalafricasciences.org

في افتتاحية العدد الأخير لسنة 2024، يقدّم فريق تحرير مجلّة « غلوبال أفركا» لقرائه نصّ كلمة امامادو ديوف (Mamadou Diouf) كاملا ، والأستاذ ديوف هو رئيس اللجنة المكلفة بإحياء الذكرى الثمانين لمجزرة الجنود السنغاليين في ثياروي (Thiaroye) التي حدثت يوم 1 ديسمبر 1944. فقد شكّلت الحكومة السنغالية الجديدة، بعد بضعة أشهر من تولّيها السلطة، لجنة مختصة مكلّفة بالكشف عن حقيقة ما جرى في المجزرة الاستعمارية التي استهدفت الجنود الأفارقة القادمين من ستة عشر (16) بلدا مختلفا . أقيمت مراسم إحياء الذكرى في 1 ديسمبر 2024 برعاية رئيس جمهورية السنغال. وقد افتتح الأستاذ المؤرخ مامادو ديوف، الاحتفالات بكلمته الافتتاحية في معسكر ثياروي حيث تم إحياء ذكرى الجنود السنغاليين والتذكير بدورهم الحيوي في الكفاح المستمر من أجل الكرامة والعدالة في إفريقيا.

خطاب رئيس اللجنة المكلفة بإحياء الذكرى الثمانين لمجزرة الجنود السنغاليين في ثياروي (Thiaroye)

اتّخذ رئيس الدولة خمس تدابير رئيسية، منها على وجه الخصوص « إنشاء مركز للتوثيق والبحث مهمّته جمع الأرشيفات والشهادات والروايات المتعلّقة بهذه الواقعة التاريخيّة التي تعدّ إرثا مشتركا [لجميع الأفارقة] ، مع دعم البحث والتعليم فيها . كما سيتم إدراج تاريخ ثياروي والجنود السنغاليين في المناهج الدراسية، لتنشأ الأجيال القادمة وتكبر على فهم عميق لهذا الفصل من تاريخنا » (مقتطفات من خطاب الرئيس)

[التحيات البروتوكولية]

لطالما شغل لغز مجزرة الجنود السينغاليين في ثياروي، التي وقعت في 1 ديسمبر 1944 عند الفجر اهتمام السياسيين والمفكرين والفنانين منذ وقت مبكر (لامين جاي (Lamine Gueye) ، ليوبولد سيدار سنغور (Léopold Sédar Senghor) ، كيتا فوديبا (Keita Fodéba))، وكذلك المؤرخين والمتخصصين في الأدب (مايرون إيتشينبرغ (Myron Echenberg) ، مباي جاي (Mbaye Gueye ,) ، شيخ فاتي

How to cite this paper:
Global Africa. (2024). مع الاعتراف بالجميل يأتي الأمل. Global Africa, (8), pp. 15-17.
https://doi.org/10.57832/e3ev-jy27

© 2024 by author(s). This work is openly licensed via CC BY-NC 4.0

فاي (Cheikh Faty Fay) ، أرمل مابون (Armelle Mabon) ، عبدو سو (Abdou Sow) ، مارتن مور (Martin Mourre) ، سابريانا بارينت (Sabrina Parent) ...)، والكتّاب والمخرجين السينمائيين (بوباكار بوريس ديوب (Boubacar Boris Diop) ، بن دياغاي باي (Ben Diogaye Beye) ، دومبي فاكولي (Doumbi Fakoli) ، سيمبين أوسمان (, Sembène Ousmane) ، وثييرنو فاتي سو (Thierno Faty Sow) ، وآخرهم ديكا نداي (Diaka Ndiaye)).

في 1 ديسمبر 1944، الساعة 5:30 صباحًا، تحرك ألف ومائتان جنديا (1200) من القوات الاستعمارية الفرنسية والدرك لاحتلال مواقعهم حول معسكر ثياروي. وكان الجنود، المسلحون والمستعدون، مدعومين بثلاث عربات مدرعة ودبابتين. أمّا داخل المعسكر، فكان يتواجد حشد يتراوح عدده بين 1200 إلى 1800 جنديا من الجنود السنغاليين أعلنوا عن حضورهم عند المناداة عليهم من الضبّاط.

إن مصطلح «الجنود السنغاليين» الذي أُطلق على هؤلاء من السلطات الفرنسيّة قد تعامى عن انحدارهم من مناطق أفريقيّة مختلفة. فقد تم تجنيدهم في الغالب قسّرا في المستعمرات الفرنسية في إفريقيا (أفريقيا الغربية، أفريقيا الاستوائية الخاضعتين لفرنسا، الكاميرون وما وراءها). وكانوا ضحايا المعاملة العنصرية المرتبطة بالنظام الاستعماري [رغم أنّهم] شاركوا تحت الراية الفرنسيّة في الحرب على مختلف الجبهات، وأهمها الجبهة الأوروبية.

لقد وقع هؤلاء في الأسر بعد هزيمة الجيش الفرنسي في يونيو 1940، وبقوا حوالي سنة في ألمانيا؛ ثم تم نقل بعضهم إلى «الفرونت-ستالاغ» (Fronts-Stalags)، وهي معسكرات عمل إجباريّ في فرنسا المحتلة. هناك، كانوا مجبرين على القيام بأعمال تساهم في المجهود الحربي الألماني. و لمّا تمّ تحريرهم، واصل البعض القتال جنبا إلى جنب مع جنود فرنسا الحرة، بينما تم دمج آخرين في وحدات العمل العسكري.

ثم جاءت مرحلة التحرير (صيف وخريف 1944). تم تجميع الجنود السينغاليين في مراكز في وسط فرنسا وجنوبها ، وبعد أربع سنوات قضّوها في السجون الألمانية، كان المُرحَّلون منهم إلى أفريقيا والمتمركزون في ثياروي ينتظرون تسريحهم وعودتهم إلى بلدانهم الأصلية.

تعلّقت مطالب هؤلاء الجنود بحلّ عدّة قضايا حيويّة بالنسبة إليهم ، من أبرزها التعويضات والرواتب، والمكافآت الخاصة بالتسريح، والمخصّصات الأخرى، فضلاً عن تحسين ظروف إقامتهم في معسكر ثياروي والتسريع بعودتهم إلى أوطانهم. لكن رد فعل السلطات الاستعمارية لم يتأخر واستأنفت العنف الممنهج الذي كانت تمارسه عليهم. تكمن المفارقة في تزامن الاحتفال بـ «التحرير»، الذي كان يُعتبر راية مميزة لفرنسا في نهاية الحرب، مع ارتكاب مجزرة الجنود السنغاليين في ثياروي. لم يُؤخذ في الاعتبار دور هؤلاء الجنود في تحرير فرنسا، ناهيك عن القيم والمبادئ المدنية والديمقراطية التي انبثقت عن الحرب وأهوالها كما أظهرت «الانتفاضات» و«الثورات» التي هزّت القوات الاستعمارية عمق الفجوة بين التضحيات الجسيمة التي قام بها الجنود الأفارقة ومكافآتهم غير العادلة.

تكرّرت المجازر في تاريخ الإمبراطوريات الاستعمارية، لكن مجزرة ثياروي تظل لحظة استثنائية. فقد حدثت في سياق الاحتفالات والنشوة بالتحرّر، وبالانتصار الذي حققه قادة المقاومة تحت قيادة الجنرال ديغول على النازيّة. وفي هذه اللحظة الفارقة، التي كانت تغذّيها فكرة خاصة عن فرنسا، تمّ قمعُ دموي للجنود الأفارقة وتنكّر لمطالبهم المشروعة ، بعد أن عانى هؤلاء من ويلات الأسر والتعذيب وعاشوا ألوانا من الحرمان. لقد قضت مجزرة ثياروي في عنف على أحلام التحرر التي كانت تروج لها دعاية المحررين الفرنسيين. ومع نهاية الحرب، وعودة صورة فرنسا النبويّة ، فرنسا التي أعادت صياغة سرديتها التاريخية ، وخاصة منعطفها الثوري، و الإعلاء من قيم الجمهورية واحترام حقوق الإنسان، تركت في [مفارقة عجيبة] الجنود السنغاليين والشعوب المستعمَرة تائهة على قارعة الطريق.

ففي الأيام التي تلت المجزرة، سعت السلطات الفرنسية بكلّ الطرق إلى التعتيم عن «المجزرة» كما وصفها لامين جاي (Lamine Gueye) ؛ فتم تحريف السجلات المتعلقة بهؤلاء الجنود منذ مغادرتهم لمورلاي (Morlaix) حتّى وصولهم إلى داكار، و عدم ذكر العدد الحقيقي للجنود الموجودين في ثياروي، وأسباب تجمّعهم هناك. أفاد التقرير الأولي بوقوع خمسة وثلاثين (35) قتيلاً في «تمرد». أما التقرير

الرسمي الفرنسي، فقد أشار إلى مقتل سبعين (70) جنديًا سنغاليًا. ومع ذلك، تشير التقديرات الأكثر مصداقية إلى أن العدد الحقيقي للضحايا كان يتراوح بين ثلاثمائة (300) وأربعمائة (400). إن هذه المحاولة المتعمدة للتستر على الحقيقة، والتي كشف عنها المؤرخون، بدأت تظهر منذ اللحظات الأولى بُعيد وقوع المجزرة.

تظل ظروف ارتكابها وفظاعة القمع والبطش الذي تعرّض له الجنود السينغاليون وعدد القتلى منهم غامضة؛ فبعض الوثائق الإدارية والعسكرية المحفوظة في الأرشيف الفرنسي لا يمكن الوصول إليها ، والبعض الآخر تم تحريفه أو اختفت، أو هي متناقضة. إنّ كشف الحقيقة حول هذه المجزرة ومواجهة محاولات التستر عليها أصبح اليوم أمرًا بالغ الأهمية. ولهذا الغرض ندعو إلى تعاون صريح وكامل من قبل الحكومة الفرنسية.

قررت حكومة السنغال إعادة فتح هذا الملف عبر إحياء الذكرى الثمانين للمجزرة التي ارتكبت ضد الجنود السنغاليين في ثياروي بتاريخ 1 ديسمبر 1944.

إنّ المبادرة في إنتاج السرد المتعلق بهذه اللحظة من تاريخنا تعني إعادة هذه الحادثة إلى إفريقيا من خلال محو الطابع الاستعماري للتحديدات الجغرافية، والسماح بإعادة صياغة المشهد التذكاري وفقًا لرؤية الأفارقة، بعيدًا عن ميادين الشرف الفرنسية لقد اعترف الرئيس الفرنسي السابق فرانسوا هولاند في عام 2014 أنّ الجنود السنغاليين قد قُتلوا بالرصاص الفرنسي ؛ فكان حضوره في ثياروي بمثابة «تصحيح للظلم»، و اعترافا بأن بطش الجيش الفرنسي بالجنود السينغاليين كان فظيعًا وغير محتمل. ومع ذلك، بدا أن الاعتراف بالقمع الدموي الذي تعرض له الضحايا الذين كانوا يرتدون الزي الفرنسي كان بمثابة نوع من الغفران. أليست فرنسا ترفع من مكانتها من خلال إقرارها الواضح والواعي بماضيها الاستعماري؟ أخيرا اعترف الرئيس هولاند بأن ما حدث هي جريمة اقترفت بالمدافع الرشاشة التي أطلقت حممها على ضحاياها من الجنو د السينغاليين ، وبالتالي فهي «مجزرة» (21 نوفمبر 2024). وقد سار الرئيس إيمانويل ماكرون على نفس خطى سلفه هولاند قبل أيام، في رسالة وجهها إلى نظيره السنغالي، الرئيس باسينرو ديوماي ديخير فاي (Bassirou Diomaye Diakhar Faye) .

أمّا ما اعتبرتها السلطات الفرنسيّة جريمة ارتكبها الجنود الأفارقة، ووصفتها بـ«جريمة عصيان»، فهي ناتجة عن الفوضى التي أذكتها السلطة المركزية في فرنسا والتضاد بين القيم التي كانت تحتكرها لنفسها وحدها وبين أسلوب الحكم والغطرسة الإمبريالية التي تمارسها في مستعمراتها الأفريقيّة ، والتي كان لها ثمن باهض ، لا تزال تداعياته ملموسة إلى اليوم.

وعليه، يصبح من الضروري كسر الصمت وإعلان وجهة نظرنا وتعليقاتنا وأفكارنا الإبداعية بكلّ وضوح حول هذا الحدث. إنّ ثياروي، بالنسبة إلينا نحن معشر السنغاليين لحظة، مأساوية وعظيمة في آن واحد، تتيح لنا منح ضحايا المجزرة مكانتهم بوصفهم «شهداء من أجل إفريقيا» ومن أجل الروح الأفريقية الواحدة

قصّة مجزرة الجنود السنغاليين والأفارقة رواها لنا وأنشدها في إفريقيا كلّ من ليوبول سيدار سنغور في قصيدته «ثياروي» (1944)، وكيتا فوديبا في باليه-قصيدته «الفجر الإفريقي» (1948). هذه القصائد تمثل رؤى أفريقية تعكس، كما قال أول رئيس للسنغال، «إفريقيا الأبدية، وعالم المستقبل... أي العالم الجديد الذي سيظهر غدًا» (سنغور). إنّ عالم الغد سيكون مبنيا على قيم الوحدة والازدهار والديمقراطية والتنوع، وهو ما نسعى للاحتفال به وتحقيقه معًا. إنّها الذاكرة التي ينبغي علينا ترسيخها من أجل تاريخنا القادم.

[....].إنها مهمة شاملة، مهمة صعبة ولكن كم هي مثيرة للغاية، وتتطلب القيام بأنشطة مستمرة قادرة على المشاركة في العمل التاريخي والتذكاري لإنتاج روايات ودروس مدنية وثقافية وفنية تخدم المجتمعات الأفريقيّة. إنّها قصة تاريخ مشترك تغذي بيداغوجيا هدفها بناء أسس التكامل الإفريقي.

[شكرا وتقديرا خاصّين]